سيقطعهم عظم احتجاج جناننا   الى عظمهم قطعاً كقطع الصوارم
هو الحق ما طالما شواهده اتت   تحز مقالات القوم حز الغلاصم
تقوم رجال الحق عند قيامهم   بقوة عزم دونه انتهاء العزائم
يقادون رغماً لا يجاب مقالهم   حفاة حيارى في اكف الضراغم
يناديهم الهادي هلموا الى الهدى   حياتكم من التوحيد من كل عالم
هلموا الى المعنى الحق وحسبكم   شواهد بالهدي تكفي الصعائم
وقلتم بتأويل الخيالي ديانة   على غير ما قد قيل من كل فاهم
هذيتم بان الطفل يبقى لعمره   وانسيتم حد البلاغ المكاتم
واشركتم والشرك كنه خطيئكم   وامواج بحر الشرك بين التلاطم
سيطلق سيف الحق فيكم هلاككم   ويحصدكم كالزرع من غير راحم
ويخزيكم اهل الامانة والتقى   وتوحيدهم يربو على كل قائم
ويظهر سيف النبي مشهراً   على حكمكم والفعل من غير آثم
وما صفوة المنتجبين تارك   جهادكم من غير خوف ولا لم
وتبقى نبيلاً في الصدور مكاننا   وتأتي على انسابكم والتراحم
وتمسون سهراً لجبن خفكم   وتلقون كل الذل من غير راحم
سيكفكم هذا الشهر كل منافق   ويزداد كيلاً فوق كظم الاكاظم

حال الهند الانكليزية

(معربة عن مجلة الدنيا الاسبوعية)

ليست احوال الهند كما يرام والحكومة الهندية والبريطانية في خوف شديد ورعب زائد . لاجرم انه يبعد حدوث ثورة عامة مثل ثورة سنة ١٨٥٧ . لان الحكومة تتذرع بوسائل من الحزم والاحتياط تجعل امثال هذه الثورات من قبيل المحال . خصوصاً وان اسلاك البرق وخطوط الحديد وسرعة وصول الاخبار وسهولة المواصلات تساعد الحكومة على توطيد دعائم الامن والراحة وتضمن لها السكون والهدوء . غير ان الهنديين يحاربون الحاكمين بأسلحة اخرى وسيظلون محاربين لهم ابداً بها وهي : الجرائد . الخطب . الدعوة الى الثورة .

فبهذه الاسلحة الثلاثة يحاول الهنديون نزع نير الحكم الانكليزي من اعناقهم . الا وان بين سكان آسيا على اختلاف مللهم ونحلهم وتباين عناصرهم واجناسهم وبين اهل اوروبا نفوراً ليس في امكان البشر محوه ورفعه .

واليك ما قاله كيلينك في هذا الصدد : (*Kipling* من كتاب الانكليز ولد في بومباي سنة ١٨٦٥)

« الشرق شرق والغرب غرب . ولا شيء يجمع بينهما فهما ضدان لا يأتلفان . ومن المتعذر كل التعذر ان تنشأ بين ابن الشرق وبين ابن الغرب ألفة حقيقية او مودة ثابتة او ثقة تامة . فانهما يتكلمان بلغتين متباينتين كل التباين ولا يستطيعان ابداً ان يتفاهما . وعدم الالفة وقلة الوئام هو الاصل في علائق الشرقيين والغربيين على مدى الايام . . . »

تخرج في غضون خمسين سنة من المدارس العليا في الهند وانكلترا ما يربو على خمسين الف تلميذ هندي تسعة اعشار هؤلاء غدوا كتاباً وادباء ومحامين . اما الاطباء والمهندسون والكيماويون فهم بين ثلاثة الى اربعة آلاف .

ويتخرج كل سنة من المدارس العالية اثنا عشر الف هندي وهؤلاء يأتون بلادهم حاملين شهاداتهم فيزداد بهم عدد العاطلين المتعلمين زيادة مستمرة .

وان يكن قد خصص لهؤلاء الشبان بعض المناصب الصغيرة في الادارة والمحاكم فليس في هذه المناصب ما يكفيهم جميعاً ومن لم يقدر على الدخول او يرغب في دخول سلك العاملين بتلك الرواتب الطفيفة التي كادت تكون سخرية وهزواً يضم صوته لاصوات الجرائد ورجال السياسة المهيجين فعدد هؤلاء كبير للغاية وهو ينمو ويقوى على الدوام . . .

فالتربية الاوروبية جعلت الهنديين غير راضين وصيرتهم حانقين ناقمين ! ينشأ الهندي من المدارس العالية على ذكاء وقاد ونباهة تامة غير ميال للتجارة او الصناعات فيدخل في برهة وجيزة غمار السياسة وهو حانق على حكومة وادارة قد غرستا في نفسه آمالاً كبيرة وملأته باحلام مذهبة لم يتمكن من تحقيقها ولا طاقة له بالحصول عليها . واذ كان يرى نفسه على مستوى من يحكمون فيه مساوياً لهم في المعرفة والادراك لا يرى فرقاً بينه وبينهم في شيء لا يلبث ان يتمثل امام عينيه ذلك الظلم المهين الذي يسجل عليه حياة بائسة تحت ربقة اناس دخلاء اجانب عنه مع ان في امكانه ان يقوم مقامهم

في تولي الأمور والمصالح والعمل في شؤون الحكومة والادارة وقد يفضلهم وينازعهم من حيث انه ابن البلاد عارف بأخلاقها وطبائعها ، خبير بأمزجتها وعاداتها ، واقف على معتقداتها وتصوراتها ...

يتعلم الهندي في بلاد الانكليز سني ايام الدراسة قواعد السياسة واصول الادارة ويقف على آراء علماء الاجتماع على نحو ما يتلقاها شبان الانكليز ويخرج من المدرسة وعقله متشبع بمبادىء الحكم الذاتي وحكم الامة نفسها بنفسها وعدم المركزية 'Self government' كما هو الحال في بريطانيا . والتلميذ الهندي يفهم هذه المبادىء كل الفهم ويعتقدها حق العلم ولكنه متى جاء لتطبيق احكامها على بلاده واوطانه يشعر بأن لسان حال الانكليز يقول له بأجلى اشارة :

« ما كان حقاً وصحيحاً على ضفاف التيمس ليس كذلك على ضفاف الغانج ! »

وهذا القول يستصعب اذا نظر الانسان اليه بعين انكليزية اما الهندي فلا يقنعه ذلك ومن هنا ينبعث النفور والحنق .

يريد الهنود اما ان يتركوا وشأنهم يحكمون انفسهم بأنفسهم واما ان يحكمهم الانكليز مراعين مصلحة الثلاثمائة مليون من البشر سكان الهند رعية امبراطور الممالك الهندية وملك بريطانيا . وبعبارة اخرى يطلبون من حكومة الهند ان توجه عنايتها لحفظ مصالح الهند .

اما الانكليز وجرائد الانكليز فيقولون ويجهرون بالقول غير مبالين بأن بقاء الانكليز وحكمهم عليها هو لأجل مصالح الانكليز فقط فالهنود محكومون للانكليز من اجل هذه المصالح وحدها وما دام الانكليز في بلاد الهند فمصالحهم ومرافقهم فيها خطيرة حرصاً على هذه المصالح ورعاية لهذه المرافق وحباً بالوصول اليها من كل وجوهها يحكمون هذه المملكة الشاسعة الأطراف الوسيعة الجوانب ويديرون امورها .

وبالمستطاع للانكليز ان يقولوا انهم عمروا البلاد وحسنوا حالها بانشاء الطرق ومد الخطوط الحديدية واسلاك البرق واصلاح الري وسقيا الارض وفتح ابواب الصناعات وبذل العناية في حفظ الصحة العامة ودرء اسباب المجاعات وتخفيف ويلاتها . ولكن هذه المواد النافعة ما أتت الا من طريق العرض وهي منبعثة من المنافع الكبيرة والفوائد

المناصب التي خص الانكليز بها انفسهم دون سواهم فهي ناشئة من حاجتهم اليها لاجل استثمار البلاد واخذ خيرها وغلتها ...

وقصارى القول ان الانكليز لم يحكموا بلاد الهند من اجل عيون الهنود الكحلاء وانفة الهنديين بل رغبة في مصلحة الانكليز وحدها ...

وما من احد في الغرب يلوم الانكليز على عملهم هذا . ولكن اليس من البديهي ان يصبح اهل الهند غير راضين عن هذه الحالة .

يقول الهنود : لا يعمل الانكليز الا لانفسهم .

ويجيبهم الانكليز : بانهم يعملون لانفسهم وفي عملهم هذا ينفعون البلاد الهندية . فهنا فرق دقيق لا يخفى على الناقد البصير .

ولكن الهنود الدارسين في اوروبا يعرفون هذا الفرق ويدركونه وهم لا ينفكون من لفت انظار ابناء وطنهم اليه مشيرين بالاعتدال والبلاغة . رأى الهنود المتعلمون وعرفوا ماذا حدث وجرى في جزيرة ايرلاندا ورأوا وعرفوا ماذا حدث وجرى في الممالك الاخرى فاقتدوا بهم وسعوا الى مدوامة وحدة واحدة وقلدوا الايرلانديين والاجتماعيين والعدميين (سوسياليست ونهلست) في العالم ..

خذ مثالاً لذلك حادثة عليبور سنة ١٩٠٨ وحادثة لوندرا سنة ١٩٠٩ (وقيام دنكرا الهندي بقتل السير كرزون ويلي والدكتور لالكاكا سنة ١٩٠٩) وغيرهما ...

فالمتهيجون والكتاب والصحافيون من الهنود الذين يعرفون قوة الجرائد والمطبوعات وتأثيرها فتحوا باب حرب دائمة على صفحات الجرائد ضد الانكليز يدعون الناس فيها الى طلب الاستقلال في الادارة (اوتونومي والهندية سوراجا) ويشوقونهم لمقاطعة البضائع الانكليزية (بويكوتاج والهندية سواديشي) كما صنع الايرلانديون في جزيرتهم .

واضافوا الى ذلك عمل الفوضويين اي القتل والفتك الذريع والقاء القنابل والاجزاء المفرقعة والمواد النارية المتفجرة .

وهذا هو البلاء ! فكيف السبيل الى الوقوف امام تياره الهائل ؟

لم تجد الحكومة الانكليزية حتى الآن الا طريقتين : الاولى الحزم والصرامة . الثانية : ارضاء الطبقات العليا التي لها التأثير في الهنود بشيء من المنافع والمناصب وهم البراهمة الذين يلتصق بهم عامة الدارسين من الهنديين الذين نشأوا نشأة افرنجية .

وربما وجد بين هؤلاء من هو راضٍ عن الانكليز وحكم الانكليز · بيد انهم قليلون جداً لا يتعدون الطبقة التي تولت مناصب الحكومة ونالت رواتب كافية ·

اما جيش الكتاب الصحافيين العرمرم ، جيش الناقمين الحاقدين ، جيش المتعلمين الذين لم يحصلوا على مراكز في الحكومة فانهم يؤثرون في افكار الناس جميعاً من طريق الكتابة والخطابة ·

يصعب الحكم على مبلغ تأثير هؤلاء المتحمسين والى اين يصل وماذا حصل منه · ومعلوم ان التأثير عظيم جداً لاسيما في بنجاب وبنغاله وغيرهما من الاقطار ··

ومما يساعد على امتداد سلطة الانكليز في الهند انقسام الهنديين الى طبقات مختلفات (كاست Castes) وهذه الطبقات لا رابطة بينها ولا ترغب في ان يكون لها رابطة ·

ولا يوجد في الهند ما يقال له امة هندية · وليس بين سكان الممالك الهندية رابطة مشتركة سوى بغض الانكليز وهذه الرابطة عبارة عن شعور سلبي لا يفيد في شيء ان لم يكن مشفوعاً بشعور ايجابي كحب الوطن والاشتراك في اللغة وفي الافكار · فهذا لا اثر له في الهند · او لم يوجد بعد · ويختلف الهنود بعضهم عن بعض كما يختلف سكان البلاد المفترقة في اوربا ·

ثم ان العنصر الاسلامي في الهند راضٍ عن حكومة الانكليز لانه هو ايضاً اجنبي · ومن المحقق ان المسلمين في الهند ليسوا سوى ستين مليوناً من ثلاثمائة مليون والهنود يمقتون المسلمين بقدر بغضهم للافرنج تقريباً وزد على ذلك ان مسلمي الهند محرومون من الذكاء والميل للتعليم الذي عرف به الهنود ·

ينتج من ذلك ان الحالة في الهند وفي بعض ايالاتها (كبنجاب وبنغاله وغيرهما ··) ليست على خطر وان كان لا بد من اعظامها والمبالغة فيها لان وجود الطبقات المختلفات في درجات الاجتماع واختلاف الاجناس والاديان يحول دون ثورة عامة على الانكليز · وانكلترا لا تخشى الا من ان تثور الهند مدفوعة من احدى الدول العظمى او مستندة عليها · خطر الثورة في الهند قليل جداً بالنسبة للثورة التي حدثت قبل اثني عشرة سنة ولكن المركز حرج على كل حال ·

عن نهر الذهب · عبد الوهاب